

سِفْرُ أَيُّوبَ

المحاضرة ١١: تَوْبَةُ وَاسْتِرْدَادُ

ديرليك توماس

نَحْنُ الْآنَ فِي الْمُحَاضِرَةِ ١١ مِنْ دِرَاسَتِنَا لِسِفْرِ أَيُّوبَ وَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى الْأَصْحَاحِ الْأَخِيرِ. وَسَوْفَ تَتَّبَعِي لَنَا مُحَاضِرَةً وَاحِدَةً آخِرَةً. سَنَتَنَاوَلُ فِيهَا آيَةً فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبَ عَنْ أَيُّوبَ؛ تِلْكَ الْعِبَارَةُ الشَّهِيرَةُ عَنْ صَبْرِ أَيُّوبَ.

أَمَّا عَنْ الْأَصْحَاحِ ٤٢، دَعُونَا نَنْتَقِلُ إِلَى الْآيَةِ ١٠ مِنْهُ الَّتِي تَقُولُ: "وَرَدَّ الرَّبُّ سَيِّئِ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لِأَجْلِ أَصْحَابِهِ، وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لِأَيُّوبَ ضِعْفًا". إِنَّ الْأَمْرَ يَبْدُو انْفِرَاجًا فِي الْعَالِمِ. إِذْ قَدْ كَانَتْ قَدْ سَادَتْ ظُلْمَةٌ حَالِكَةٌ وَكَابَةٌ وَتَعَظَّمَتِ التَّجْرِبَةُ وَالْمَشَقَّةُ، لَكِنَّ الْأَمْرَ هُنَا يَنْتَهِي عَلَى نَحْوِ إِيجَابِيٍّ لِلْعَايَةِ. وَرَزَقَ أَيُّوبَ بَعَشْرَةَ أَبْنَاءٍ آخَرِينَ، وَحَظِي بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْعَنَمِ وَ٦٠٠٠ مِنَ الْإِبِلِ، فِي الْآيَةِ ١٢، وَ١٠٠٠ زَوْجٍ مِنَ الْبَقَرِ وَ١٠٠٠ مِنَ الْإِتَانِ. فَهَذَا مَا كَانَ قَدْ بَدَأَ بِهِ السِّفْرُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. فَمَا الَّذِي يَجْرِي؟ يُدْكَرُنَا ذَلِكَ بِالْمَلِكِ لِيرَ، الْمَلِكِ الَّذِي لِمَسْرَحِيَّةِ شَكْسِبِيرِ. إِذْ قَدْ مَاتَ الْجَمِيعُ فِي النِّهَايَةِ، بِمَنْ فِيهِمْ كُورْدَلِيَا. إِنَّمَا هُنَا، لَا يَنْتَهِي الْأَمْرُ بِرِسَالَةِ مَاسَاوِيَّةٍ، مِثْلَ مُعْظَمِ أَعْمَالِ الْقَرْنَيْنِ ١٩ وَ٢٠ الْأَدْبِيَّةِ. مِثْلَ الْمُؤَلِّفِينَ هَارْدِي وَسِتِينِيك - يُفَكِّرُ الْمَرْءُ مَنَّا فِي هَؤُلَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ وَالْكِتَابِ وَيُفَكِّرُ فِي أَعْمَالِهِمُ الْأَدْبِيَّةِ الَّتِي فِي الْعَالِمِ مَا تَنْتَهِي بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمَاسَاوِيَّةِ. أَمَّا هُنَا، نَجِدُ عُنْصُرَ اسْتِرْدَادٍ. إِذْ يَقُولُ مِنَ الْآيَةِ ٧: "وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلَامِ"، فِي الْأَصْحَاحَاتِ ٣٨ وَ٣٩ وَ٤٠ وَ٤١. وَقَدْ جَاوَبَ أَيُّوبُ فِي بَدَايَةِ الْأَصْحَاحِ ٤٢ قَائِلًا: "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ". ثُمَّ يَقْتَبِسُ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ مِمَّا قَالَهَا اللَّهُ فِي الْأَصْحَاحِ ٣٨. مِنْ ثَمَّ يَحْتَمِ حَدِيثُهُ فِي الْآيَةِ ٥ بِقَوْلِهِ: "بَسْمَعُ الْأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ". فَهُوَ هُنَا لَا يَتَوَبُّ عَنِ الْخَطِيئَةِ الَّتِي اتَّهَمَهُ أَصْدِقَاؤُهُ بِهَا الَّذِينَ يَفْتَرِضُونَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْحَقِيقَةِ سَبَبَ تَجْرِبَتِهِ. فَقَدْ قَبِلْتُ دَعْوَى أَيُّوبَ. لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِي أَثْنَاءِ التَّجْرِبَةِ، لِهَذَا السَّبَبِ يُقَدِّمُ تَوْبَةً هُنَا عَنْ أَسْلُوبِهِ نَحْوِ اللَّهِ الَّذِي أَبْدَاهُ فِي أَثْنَاءِ تَجْرِبَتِهِ.

الآن، أريد أن ننظر جميعًا إلى ٣ أمورٍ في هذا الأصحاح الأخير. فالأمر الأول، الذي يقع في المقطع من الآية ١ إلى الآية ٦، هو حقيقة أن علاقته بالله توطدت. كما تعلمون، ذلك نتيجة هذه التجربة. نعم، إنه نتيجة هذا الضيق المروع الذي مر به. فنجدُه يقول: "بَسْمَعُ الْأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي". فَهُوَ أَصْبَحَ يَعْرِفُ اللَّهَ بِشَكْلِ أَفْضَلٍ. وَيَقْتَبِسُ أَكْثَرَ عَنْهُ. لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْرِكُهُ يَتَمَثَّلُ فِيمَا لَا يُدْرِكُهُ. فَهُوَ يَعْرِفُ الْآنَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَهُ، اللَّهُ عَظِيمٌ، اللَّهُ ذُو جَلَالٍ، اللَّهُ يَعْلَمُ نِهَايَةَ الْأُمُورِ مِنْذُ الْبَدْءِ. فَاللَّهُ لَيْسَ مُجَبَّرًا عَلَى تَوْضِيحِ السَّبَبِ وَرَاءَ تَجَارِبِنَا. وَأَحْيَانًا قَدْ يَكُونُ السَّبَبُ جَلِيًّا. وَرُبَّمَا يَكْشِفُ اللَّهُ هَذَا السَّبَبَ لَنَا بِطَرِيقَةٍ مَا. لَكِنِّي فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ

تَكُونُ الْأَسْبَابُ غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلتَّفْسِيرِ. إِذْ تَفُوقُ قُدْرَتَنَا عَلَى إِدْرَاكِهَا. فَإِلَامٌ أَحْضَرَ أَيُّوبُ؟ لَقَدْ أَحْضَرَ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالشِّقَّةِ، وَالْإِتِّكَالِ. فَاللَّهُ هُوَ الْإِلَهَ الَّذِي نَسْتَطِيعُ الْوُثُوقَ بِهِ. كَمَا أَنَّ لَهُ قَصْدًا. انْظُرُوا إِلَى الْآيَةِ ٢ الَّتِي تَقُولُ: "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ (قَصْدٌ)". نَعَمْ، إِنَّ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ كَانَتْ جُزْءًا مِنْ قَصْدِهِ؛ مِنْ قَصْدِ الْإِلَهِيِّ وَمِنْ خُطَّةِ الْهَيْبَةِ.

مُنْذُ أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ، وَقَعَتْ مَأْسَاءٌ مُرَوَّعَةٌ. أَدَّتْ إِلَى مَقْتَلِ إِنْسَانٍ. وَهُنَاكَ عَائِلَةٌ مُتَوَرِّطَةٌ فِي الْأَمْرِ. لَمْ تَكُنِ الْمَأْسَاءُ بِسَبَبِ خَطَأٍ وَاضِحٍ افْتَرَفَهُ هَذَا الْإِنْسَانُ - أَدَّى إِلَى مَقْتَلِهِ. بَلْ كَانَتْ حَادِثَةً كَمَا يَقُولُونَ، مَأْسَاءٌ لَا يُمَكِّنُ تَفْسِيرُهَا. فَقَدْ مَاتَ فِي لِحْظَتِهَا، وَكَانَتْ الْعَائِلَةُ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ. لَقَدْ انْشَقَّتْ أَرْضُ عَالَمِهِمْ وَفَتَحَتْ فَاها وَابْتَلَعَتْهُمْ جَمِيعًا تَقْرِيْبًا. فَمَا الَّذِي عَلَيْنَا قَوْلُهُ؟ فِي الْوَاقِعِ، مَا قَدْ قَالُوهُ كَانَ مِنْ أَيُّوبَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ وَالْآيَةِ ٢١ "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا". هُمْ الْآنَ يَجْتَازُونَ عَبْرَ آخِرِ مَرَاجِلِ حُزْنِهِمْ، حِينَ تَهَلُّ الْأَسْئَلَةُ وَتَتَسَلَّلُ الشُّكُوكُ وَيُلْفِي الشَّيْطَانُ بِأَتَهَامَاتِهِ وَلَا يُقَدِّمُ الْمُسِيرُونَ، نَعَمْ، لَا يُقَدِّمُونَ سِوَى النَّصَائِحِ السَّيِّئَةِ. لَكِنَّهُمْ قَدْ افْتِيدُوا إِلَى الرَّبِّ. لَقَدْ افْتِيدُوا إِلَى أَنْ يَرْمُوا حُمُولَهُمْ عَلَى الرَّبِّ، عَالِمِينَ أَنَّهُ يَهْتَمُّ بِهِمْ. وَهُمْ الْآنَ يَنْمُونَ فِي عِلَاقَتِهِمْ بِهِ. لَقَدْ كَانُوا يَطْنُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ قَبْلًا. لَكِنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ أَكْثَرَ الْآنَ، وَبِشْكَالٍ مُخْتَلِفٍ وَأَعَمَقَ جَدًّا. هَذَا مَا قَدْ تَعَلَّمَهُ أَيُّوبُ. إِذْ تَمَتَّعَ بِعِلَاقَةٍ أَعَمَقَ مَعَ اللَّهِ.

"يَتَحَرَّكُ اللَّهُ بِطُرُقٍ خَفِيَّةٍ لِيَصْنَعَ عَجَائِبَهُ.

يُنْبِتُ خُطَاهُ فِي الْبَحْرِ، رَاكِبًا عَلَى السَّحَابِ.

فِي أَعْمَاقِهِ، مَنَاجِمُ عَجَائِبٍ لَا تَنْضُبُ يَسْتَحِيلُ إِدْرَاكِهَا.

إِنَّهُ يَحْفَظُ أَفْكَارَهُ وَخُطَطَهُ اللَّامِعَةَ، وَيُقَدِّمُ مَشِيئَتَهُ السِّيَادِيَّةَ.

عَدَمُ الْإِيمَانِ الْأَعْمَى حَتْمًا يُخْطِئُ، وَفَحْصُ عَمَلِهِ بَاطِلٌ.

اللَّهُ هُوَ مُفَسِّرُ عَمَلِ يَدَيْهِ، وَسَوْفَ يَسْتَعْلِنُهُ".

هَذَا بِالطَّبْعِ مَقْطَعٌ مِنْ تَرْنِيمَةِ وِلْيَامِ كُوبِرِ (William Cowper). وِلْيَامُ كُوبِرُ صَدِيقُ جُونِ نِيوتِنِ (John Newton)، كَانَ وِلْيَامُ كُوبِرُ رَجُلٌ مَاسٍ. نَعَمْ كَانَ بَارِعًا، لَكِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مَاسٍ. رَجُلًا كَانَ يُعَانِي نَوَابَاتِ اكْتِنَابٍ حَادَّةٍ. رُبَّمَا الْيَوْمَ قَدْ نُشِخَّصُهُ بِأَنَّهُ ثُنَائِي الْقُطْبِ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ أَوْقَاتٌ انْتَابَتْ فِيهَا مُيُولُ انْتِحَارِيَّةٌ وَحَاوَلَ وَضَعَ حَدَّ لِحَيَاتِهِ ٥ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْل. فَنَفِي إِحْدَاهَا فَفَزَّ فِي النَّهْرِ لِيُغْرَقَ نَفْسَهُ، وَكَانَ عُمُقُ النَّهْرِ حِينَهَا لَا يَزِيدُ عَنْ ٤ أَوْ ٥ بُوَصَاتٍ. وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ. مَاسُويٌّ. وَعَظِيمًا مِنَ الْمَحَاوَلَاتِ الْإِنْتِحَارِيَّةِ. وَمِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ أَنَّهُ سَكَنَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَيْتِ جُونِ نِيوتِنِ - تَاجِرِ الْعَبِيدِ الثَّرِيِّ السَّابِقِ وَمَوْلَفِ تَرْنِيمَةِ "مَا أَعْجَبَ النِّعْمَةَ" وَقَدْ سَاعَدَهُ جُونِ نِيوتِنِ

بِتَقْدِيمِ الْمَشُورَةِ لَهُ. إِنَّهَا قِصَّةٌ رَائِعَةٌ، لَكِنَّ هُنَا إِنْسَانٌ - لَكِنَّ هُنَا إِنْسَانٌ الَّذِي مِنْ خِلَالِ التَّجْرِبَةِ وَاجْتِيَازِ الظُّلْمَةِ وَمِنْ خِلَالِ الشِّدَّةِ، نَمَا فِي عِلَاقَتِهِ مَعَ اللَّهِ.

قَدْ يَقُولُ كَثِيرُونَ مِنْكُمْ هَذَا عَلَى نِطَاقِ مُعَايِرٍ، كَمَا تَعْلَمُونَ، عَنِ الزَّوْاجِ. مَا الزَّوْاجُ الَّذِي لَمْ يَمُرَّ بِتَجْرِبَةٍ أَوْ بِتَجْرِبَتَيْنِ؟ أَرَعَبُ فِي مَعْرِفَةِ مَنْ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَمُرُوا فِي زَوَاجِكُمْ بِأَيِّ تَجْرِبَةٍ. أَلَمْ تَقْعُوا يَوْمًا فِي سُوءِ الْفَهْمِ؛ أَلَمْ تَدْخُلُوا أَبَدًا فِي جِدَالٍ؛ أَلَمْ يُصِرَّ أَحَدُكُمْ عَلَى حُقُوقِهِ؛ أَلَمْ يَقِفْ أَحَدُكُمْ فِي الْجِرَاحِ، مِثْلَمَا فَعَلْتُ أَنَا، فَائِلًا: "أَنَا عَلَى صَوَابٍ هُنَا، وَأَنَا أُرِيدُ مِنْ شَرِيكِ حَيَاتِي أَنْ يَعْتَذِرَ مِنِّي". كَانَ هَذَا فِي مُحَاضَرَةٍ سَابِقَةٍ. أَنَا أُحِبُّ زَوْجَتِي الْآنَ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أُحِبُّهَا حِينَ تَزَوَّجْنَا. هَذَا وَقَعَ فِي كُلِّ زَوَاجٍ وَفِي أَيِّ زَوَاجٍ مَبْنِيٍّ عَلَى أُسَاسَاتٍ كِتَابِيَّةٍ صَلْبَةٍ، زَوَاجٍ يَبْحَثُ عَنْ بَرَكَةِ الرَّبِّ.

هَذَا هُوَ الْأَمْرُ عَيْنُهُ فِي عِلَاقَتِنَا مَعَ اللَّهِ. أَيُّ أَنَّ الْأَلَمَ يُسَاعِدُ عَلَى نُمُوِّ عِلَاقَتِنَا، وَيَفْتَحُ أَعْيُنَنَا عَلَى رُؤْيَةِ أُمُورٍ، وَتَرْكِ أُمُورٍ مَا كُنَّا لِنَتْرُكُهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، رُبَّمَا كُنَّا لِنَتَشَبَّهَ بِهَا وَتَوَثَّرَ بِشَكْلِ سَلْبِيٍّ فِي عِلَاقَتِنَا بِالرَّبِّ.

حَسَنًا، الْأَمْرُ الثَّانِي الَّذِي نَرَاهُ هُنَا يَتِمُّ فِي مُصَالِحَةِ الْأَصْدِقَاءِ - الْأَصْدِقَاءِ ٣. فِي الْآيَةِ ٧ نَقْرَأُ: "وَكَانَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهَذَا الْكَلَامِ، أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِأَلِيفَارَ التِّيمَانِيِّ: قَدْ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعِبْدِي أَيُّوبَ".

الآن، اسْمَحُوا لِي بِأَنْ أَتَنَاوَلَ أَوَّلًا الْعِبَارَةَ الْأَخِيرَةَ: "كَعِبْدِي أَيُّوبَ". فَأَنْتُمْ قَدْ تَعْتَرِضُونَ قَائِلِينَ إِنَّ أَيُّوبَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَا هُوَ صَوَابٌ. وَأَنَا أَعْتَقِدُ، وَهَنَّاكَ مُفَسِّرُونَ يُشِيرُونَ إِلَى ذَلِكَ، إِنَّ مَا يُلَمِّحُ إِلَيْهِ اللَّهُ هُنَا لَيْسَ أَنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ أَيُّوبُ كَانَ صَوَابًا، إِنَّمَا مَوْقِفُهُ فِي النِّهَايَةِ كَانَ فِيهِ مُحِقًّا. لَقَدْ تَابَ عَنْ خَطِيئَتِهِ. لَقَدْ اعْتَرَفَ بِخَطِيئَتِهِ. لَقَدْ رَفَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ. إِنَّ أَيُّوبَ قَدْ تَابَ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ. وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا الْمَعْنَى وَالْمَفْهُومِ أَنَّ أَيُّوبَ فِي عِلَاقَةٍ سَلِيمَةٍ مَعَ اللَّهِ. لَكِنَّ وَاضِحٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَصْدِقَاءِ ٣ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ. لَئِنَّا غَضِبَ اللَّهُ. "قَدْ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ".

أَنَا أَتَسَاءَلُ عَمَّا إِذَا كَانَ يَسْتَوْعِبُ إِذْرَاكُكُمْ مَنْ هُوَ اللَّهُ، كَيْفَ يَكُونُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ الْغَضَبُ الْإِلَهِيُّ؟ إِنَّ تِشَارِلِزْ هَارُولْدَ دُودَ (C.H. Dodd)، الْأُسْتَاذَ الْعَظِيمَ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي الْقَرْنِ ٢٠، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِغَضَبِ اللَّهِ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِأَنَّ الْغَضَبَ كَانَ شُعُورًا شَخْصِيًّا. فَقَدْ أَصَرَ عَلَى أَنَّ الْغَضَبَ الْمَوْضَحَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَمْ يَكُنْ سِوَى حَقِيقَةٍ أَنَّ الْعَالَمَ وَالْكَوْنَ لَمْ يَكُونَا فِي مَحَلَّهِمَا؛ لَقَدْ انْحَرَفَا. إِنَّهُ أَمْرٌ مَوْضُوعِيٌّ. إِنَّهُ أَمْرٌ قَائِمٌ. إِنَّهُ أَمْرٌ مَوْجُودٌ؟ إِنَّهُ الْحَقِيقَةُ بِوُجُودِ أَلَمٍ وَأَسَى، وَمَا إِلَى ذَلِكَ. هَذَا غَضَبٌ، لَكِنَّهُ لَيْسَ شَخْصِيًّا مَعَ اللَّهِ.

يَقُولُ اللَّهُ هُنَا إِلَى أَلِفَاةِ التَّيْمَانِيِّ وَإِلَى صَدِيقِيهِ الْإِثْنَيْنِ: "قَدْ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ". فَقَدْ احْتَمَى غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ أَخْفَقُوا فِي التَّكَلُّمِ بِالْحَقِّ. أَجِدُ أَنَّ هَذَا مُخِيفٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لِأَكُونَ صَادِقًا. أَنَا مُنْخَرِطٌ فِي خِدْمَةِ تَقْدِيمِ الْمَشُورَةِ. أَجِدُ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِيْبًا أَقْدَمُ النُّصْحَ وَالْمَشُورَةَ إِلَى كُلِّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ، وَإِذَا قُدِّمَتْ هَذِهِ الْمَشُورَةُ عَلَى نَحْوِ غَيْرِ صَحِيحٍ، خَارِجَةً مِنْ دَوَافِعِ شَخْصِيَّةٍ، أَوْ بَدَافِعِ الْأَنْبَانِيَّةِ، سَوْفَ يَكُونُ اللَّهُ غَاضِبًا. إِنَّ التَّقَدُّمَ فِي مَنْصِبٍ أَوْ مِهْنَةٍ، يَتَطَلَّبُ تَمَلُّقَ الْمَرْءِ لِشَخْصٍ آخَرَ، بَدَلًا مِنَ السَّعْيِ وَرَاءَ خَيْرِ نَفْسٍ ذَلِكَ الشَّخْصِ. نَعَمْ، غَضَبَ اللَّهُ، وَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ افْتَقَرُوا إِلَى الرَّأْفَةِ. فَمَا هِيَ الْخَطِيئَةُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي افْتَرَفَهَا الْأَصْدِقَاءُ ٣؟ بِالطَّبَعِ كَانَ ثَلَاثَتُهُمْ مُحْطِئِينَ كَلْبًا حِيَالًا تَفْسِيرِهِمْ وَتَحْلِيلِهِمْ، لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَلْفُتُ انْتِبَاهِي هُوَ افْتِقَارُهُمْ إِلَى الرَّأْفَةِ. لَقَدْ كَانُوا يَفْتَقِرُونَ كَلْبًا إِلَى الرَّأْفَةِ. كَانُوا لَا يَكْفُونَ عَنِ الْكَلَامِ. لَقَدْ كَانُوا غَاضِبِينَ عَلَى أَيُّوبَ. فَلَمْ يَحْمِلْ كَلَامُهُمْ أَيَّةَ رَأْفَةٍ. فَاللَّهُ أَكْثَرَ وَدَاعَةً مَعَ الْمُشْتَكِينَ الْأَمْنَاءِ. وَيُحِبُّ مَحَبَّةً أَعْظَمَ مِنَ الَّتِي يَكُونُهَا هُوَ لِأَنَّ الْأَصْدِقَاءَ ٣. نَعَمْ، أَوَّلُ شَيْءٍ: غَضَبُ اللَّهِ.

ثُمَّ، نَجِدُ عَمَلًا بَدَلًا وَعَمَلًا تَوْبَةً. فَتَفَرَّأُ فِي الْآيَةِ ٨: "وَالآنَ فَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيْرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَادْهَبُوا إِلَى عِبْدِي أَيُّوبَ، وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يَصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ، لِأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِيَلَّا أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حِمَاقَتِكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِي الصَّوَابِ كَعَبْدِي أَيُّوبَ".

فَيَقُومُونَ بِعَمَلِ ذَلِكَ، وَيُصَلِّي أَيُّوبُ، وَفِي آخِرِ الْآيَةِ ٩ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَيُّوبَ. فَقَدْ آدَى أَيُّوبُ عَلَى مَا يَبْدُو وَظِيْفَةَ الْكَاهِنِ. مِنَ الْمُحْتَمَلِ، كَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَيُّوبَ كَانَ يَعِيشُ فِي عَصْرِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ رَبَّمَا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ بِمُدَّةٍ زَمْنِيَّةٍ قَصِيرَةٍ، لَكِنِ بِالطَّبَعِ قَبْلَ الْكَهُوتِ اللَّاويِ الَّذِي تَأَسَّسَ فِي عَهْدِ مُوسَى. لَكِنِ يَبْدُو أَنَّهُ هُنَا، عَلَى الْأَعْلَبِ يُؤَدِّي وَظِيْفَةَ الْكَاهِنِ. فَهُمْ يُقَدِّمُونَ ذَبَائِحَ، وَالرَّقْمُ ٧-٧ ثِيْرَانٍ وَ ٧ كِبَاشٍ - وَالرَّقْمُ ٧ هُوَ رَقْمُ الْكَمَالِ. وَهُمْ يَقُومُونَ بِذَلِكَ؛ وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَاجَةِ الَّتِي تَعْتَرِيهِمُ الْآنَ، بِصِفَتِهِمْ مُشِيرِينَ، مِنْ أَجْلِ الْإِعْتِرَافِ بِخَطِيئَتِهِمْ وَالتَّصَالُحِ مَعَ أَيُّوبَ. "أَحْبُوا أَعْدَاءَكُمْ... وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ". فَالْقِطْعَةُ الَّتِي أَرَعَبُ فِي الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا هُنَا، إِنَّهُ يُوجَدُ أَمْرٌ، نَعَمْ، يُوجَدُ أَمْرٌ فِي أَيُّوبَ يُشْبِهُ الرَّبِّ يَسُوعَ. "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ". نَعَمْ، الْإِسْتِعْدَادُ لِلْغُفْرَانِ وَالْغُفْرَانِ يَنْطَوِي عَلَى تَوْبَتِهِمْ. هَلْ نَلَا حِطُونَ ذَلِكَ؟ فَأَيُّوبُ لَا يَقُولُ: "لَقَدْ سَاحَتُكُمْ". الْبَشَرُ يَقُولُونَ ذَلِكَ بِالطَّبَعِ. "لَقَدْ سَاحَتُكُمْ". "لَقَدْ سَاحَتُكُمْ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ عَنْ خَطَايَاهُمْ أَيْضًا. يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِرَافُ بِخَطِيئَتِهِمْ مِنْ نَمِّ يُسَاحَتُهُمْ أَيُّوبَ.

هُنَاكَ قِصَّةٌ اشْتَهَرَتْ مِنْذُ بَضْعِ سَنَوَاتٍ مَضَتْ. وَقَدْ رَأَيْتَهَا مُسَلِّيَةً لِلْعَايَةِ. الْمُمَثِّلَةُ أَلَيْسُونَ أَرِنُجْرِيمَ، الَّتِي آدَّتْ دَوْرَ نِيْلِي أُولَيْسُونَ فِي مُسَلْسَلِ "بَيْتِ صَغِيرٍ عَلَى الْمَرْجِ". مُعْظَمُكُمْ يَتَدَكَّرُ مُسَلْسَلِ "بَيْتِ صَغِيرٍ عَلَى الْمَرْجِ". وَقَدْ عَدَّ بَتِ الصَّغِيرَةِ الْجَمِيلَةَ لُورَا إِنْجَلِز، أَتَدَكَّرُونَ ذَلِكَ فِي "بَيْتِ صَغِيرٍ عَلَى الْمَرْجِ"؟ وَفِي كُلِّ الْحَلْفَاتِ تَقْرِيْبًا، كَانَتْ تُعَدُّ لُورَا

الصغيرة. إنها ممتلئة. وأدت هذا الدور من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٨١، ثم في جميع فترات إعادة عرضه، وما إلى ذلك، وبيع هذا العرض. ثم في عام ٢٠٠٥، أي بعد ٣٠ عامًا من تأديتها لهذا الدور - كانت تُوقَّع على نسخ من كتاب كانت قد نشرته. وتأتي إليها إحدى السيدات، وتقف على مسافةٍ منها. كانت غاضبةً. وكان وجهها مُحمرًا. ولم تكن تقول أي شيء، كانت واقفةً فحسب. كانت غاضبةً. وكانت ترتجف. وعندما حان دورها في الصف، وهي واقفةً بعيدًا مرتجفةً، قالت لـ "أليسون أرنجريم": "لقد ساحتك. لقد ساحتك". بالطبع، كانت تقصد عن دورها الذي مثلته في ذلك المسلسل. أنتم تدركون ذلك. لكن كل هذا غصبٌ مكثوم، إنه ضيقٌ مكثومٌ.

وكما اعتقد، فالنقطة التي أرعب في توضيحها هنا هي أن التجارب تُشعركم بالمرارة. لقد رأيت ذلك. لقد قابلت مؤمنين قد اختبروا تجربة ما، ضيقة ما. قد تكون منذ ٢٠ سنة. قد تكون منذ ٤٠ سنة. في إحدى الحالات، كانت منذ لا يقل عن ٥٠ أو ٦٠ سنة في الماضي. لم ينسوا الأمر أبدًا. ففي كل زيارة لي لهم، يأتون على ذكر التجربة في حديثنا. لقد التهمتهم. وقصت على بقيّة حياتهم. لقد عاشوا بقيّة حياتهم في غصبٍ ومرارة، غير قادرين على المغفرة وغير قادرين على تنحيها جانبًا، وغير قادرين على التعامل معها بالطريقة الكتابية.

ما الذي يحدث عند الغفران، عندما يغفر الله لنا خطيئتنا؟ الله ينساها. لا يعود يذكرها مرةً أخرى. "المحبة لا تحتفظ بسجل الأخطاء". أولاً إنها إعادة صياغة لتلك الآية في كورنثوس الأولى والأصحاح ١٣. المحبة لا تسجل ولا تحتفظ بسجل الأخطاء. نعم، هناك بعض البشر ممن يحتفظون بسجل مثل ذلك. كما تعلمون، يمتلكون ذاكرة رقيقة صغيرة الحجم، فكلما اقترب منهم أي شخص، يهتر على نحو ما ويذكرهم قائلًا: "نعم، يحمل هذا سجلاً بالأمر التي اقترفتها في الماضي". فأيوبٌ مستعدٌ ليغفر وينسى. هذه ليست لمحة من العاطفة. بل ينطوي الكتاب المقدس على أنماط من الغفران والنسيان، بأن تضع الأمر خلفك كما لو أنه لم يحدث يوماً. أليس هذا ما فعله الله في الإنجيل؟ حين غفر لنا خطايانا، أليس كذلك؟ فهو لا يواصل ذكر الأمر. ولا يظل يذكرنا بخطايا ماضينا. لقد تم نسيانها. لقد دفع ثمنها. لقد اُحْتُت. ربّما إن كانت حمراء كالقمرمز، تصير بيضاء كالثلج. إذن هناك نمط الغفران في العلاقات.

وأما عن الأمر الثالث، يتمثل في حياةٍ مُجددة. إنها في الغالب انفراج. انفراجٌ مُختلفٌ كلياً، على سبيل المثال، عن مسرحيات الملك لير (King Lear)، أو ماكبث (Macbeth)، أو أوثيلو (Othello)، أو هاملت (Hamlet)، أو مسرحيات من تأليف إيبسن (Ibsen)، أو تشيخوف (Chekov)، أو همنجواي (Hemingway)، أو ستاينبيك (Steinbeck)، ولمولفين بريطانيين مثل جولدوينج (Golding): أمير الدباب (Lord of the Flies)، وإتش جي ويلز (H.G. Wells)، وجورج أورويل (George Orwel)، وغيرهم. بوسعنا سرد المزيد أكثر. جميعهم نهايتهم مأساويةً.

مُحِبَّةٌ لِلْعَايَةِ. كُلَّمَا أَكُونُ فِي طَيَّارَةٍ، فِي رِحَالٍ طَوِيلَةٍ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، أَنَا لَا أَعْمَلُ طَوَالَ الْوَقْتِ. قَدْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْحَادِمَ دَائِمًا مَا يَقْرَأُ فِي كِتَابِهِ الْمُقَدَّسِ وَيُصَلِّي وَيَدْرُسُ، لَكِنَّ هُنَاكَ أَوْقَاتٌ يَكُونُ عَلَى الْمَرْءِ مِمَّا الْإِسْتِرَاحَةَ فَحَسْبُ. وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَ نَوْعًا مَا الْأَفْلَامَ، وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ وَقْتُ لَمْ يَكُنْ أَمَامَكُمْ سِوَى فِيلْمٍ وَاحِدٍ، وَكَانُوا يَعْرِضُونَهُ عَلَى تِلْكَ الشَّاشَةِ وَكَانَ عَلَى الْجَمِيعِ مُشَاهِدَةٌ هَذَا الْفِيلْمِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اخْتِيَارٌ حِيَالِ ذَلِكَ. لَقَدْ كَانَ هَذَا فِي الْمَاضِي، إِنَّمَا أَنْتُمْ - الْآنَ، بِالطَّبَعِ، يُمَكِّنُكُمْ الْإِخْتِيَارُ مَا بَيْنَ مِئَاتِ الْأَفْلَامِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَيُمَكِّنُكُمْ اسْتِعْرَاضَ مَقْطَعٍ مِنْهُ بِضَغْطَةٍ عَلَى زِرِّ صَغِيرٍ. نَعَمْ، فَتَضَعُطُونَ عَلَيْهِ، وَتُشَاهِدُونَهُ لِمُدَّةِ ٢٠ ثَانِيَةً، وَتَقُولُونَ لَيْسَ هَذَا الْفِيلْمِ، بَلِ التَّالِي. فَأَنَا فَعَلْتُ هَذَا مُؤَخَّرًا. وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ فِيلْمٍ أَرَدْتُ أَنْ أُشَاهِدَهُ. كَانَتْ جَمِيعُهَا أَفْلَامًا تُسَبَّبُ الْإِكْتِتَابَ. مُحِبَّةٌ لِلْعَايَةِ. وَلَكِنَّ كَانَ هُنَاكَ فِيلْمٌ يَحْمِلُ نَهَايَةَ رَائِعَةً.

الآن، قِيلَ لَنَا عَنْ هَذَا، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، إِنَّهُ، أَيُّ أَيُّوبَ، كَانَ فِي ٧٠ مِنْ عُمُرِهِ حِينَ وَقَعَ عَلَيْهِ كُلُّ هَذَا. تَقُولُ الْآيَةُ ١٦ إِنَّهُ عَاشَ ١٤٠ سَنَةً أُخْرَى. وَوُلِدَ لَهُ ١٠ أَبْنَاءَ، ٧ بَنِينَ وَ ٣ بَنَاتٍ، مِثْلَمَا كَانَ لَدَيْهِ قَبْلًا. وَتَأَمَّلُوا أَسْمَاءَ الْبَنَاتِ. يَمِيمَةَ، تَفَرُّوْنَهَا فِي الْآيَةِ ١٤، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَسَمِيَ اسْمُ الْأُولَى يَمِيمَةَ، وَاسْمُ الثَّانِيَةِ قَصِيْعَةَ، وَاسْمُ الثَّلَاثَةِ قَرْنَ هَقُوكَ. فَاسْمُ يَمِيمَةَ يَعْنِي "يَمَامَةً"، وَاسْمُ قَصِيْعَةَ يَعْنِي "قِرْفَةً"، وَاسْمُ قَرْنَ هَقُوكَ يَعْنِي "حَاوِيَةَ الْكُحْلِ". فَهِيَ أَسْمَاءٌ مُبْهَجَةٌ. نَحْنُ نَسْمَعُ بَعْضَ الْأَسْمَاءِ الْكَثِيبَةِ. أَنَا لَا أَعْلَمُ بِمِ يَفَكِّرُ الْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ حِينَ يُخْتَارُونَ اسْمًا لِأَبْنَائِهِمْ، وَتَكُونُ أَسْمَاءٌ تَحْمِلُ نَوْعًا مِنَ التَّعَاسَةِ. أَسْمَاءٌ تُدَكِّرُنَا بِالْقِصَصِ السَّيِّئَةِ وَالْقِصَصِ الْمُحْزِنَةِ. لَكِنَّ أَسْمَاءَ بَنَاتِ أَيُّوبَ مُبْهَجَةٌ. مَاذَا تَقُولُ؟ هَلْ تَقُولُ: إِنَّكَ إِنْ وَثِقْتَ بِالرَّبِّ، فَاللَّهُ سَيَمْنَحُكَ نَهَايَةَ سَعِيدَةٍ؟ فَأَنْتِ فِي تَجْرِبَةٍ، وَأَنْتِ فِي ضَيْقَةٍ، لَكِنَّ بِمُجَرَّدِ أَنْ تَثِقَ بِهِ، سَتَحْظِي بِنَهَايَةِ سَعِيدَةٍ. سَوْفَ يَسْتَرِدُّ لَكَ ثِرْوَاتِكَ. هَلْ هَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَنْجِهَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَا، بِالطَّبَعِ لَا. لَا، إِذْ إِنَّ حَيَاةَ بَعْضِ النَّاسِ تَنْتَهِي فِي الظِّلِّ وَالظَّلَامِ؛ الرِّجَاتُ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهَا؛ الْعَلَاقَاتُ مَعَ الْأَبْنَاءِ الَّتِي يَبْدُو أَنَّهَا تَنْتَقِلُ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى أَسْوَأَ، وَلَا تُسْتَرَدُّ أَبَدًا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْإِشْتِيَاقِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّصَرُّعِ. لِذَا يَنْبَغِي لَنَا أَلَّا نُسَيِّءَ تَفْسِيرَ هَذَا الْأَصْحَاحِ. فَهُوَ يَقُولُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ بِإِمْكَانِهِ تَغْيِيرُ حَيَاتِكُمْ مِمَّا هِيَ فِيهِ الْآنَ ١٨٠ دَرَجَةٍ. فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحْدَاثِ ذَلِكَ. أَنَا لَا أَقُولُ إِنَّ هَذِهِ هِيَ خُطَّةُ اللَّهِ لِكُلِّ مِنْكُمْ. فَأَنَا لَا أَمْلِكُ أَيُّ سُلْطَانٍ لِقَوْلِ ذَلِكَ. لَكِنَّ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقُولَ لَكُمْ إِنَّهُ أَكْثَرُ مِمَّا مُمَكِّنُ، فِي عِنَايَةِ اللَّهِ الْقَدِيرِ وَقُوَّتِهِ وَسَيَادَتِهِ، يُمَكِّنُهُ حَوْوُ هَذَا الظَّلَامِ.

هَلْ أَيُّوبُ نَسِيَ التَّجْرِبَةَ يَوْمًا؟ لَا. إِذَا كَانَ هَذَا فِيلْمًا، فَسَتَكُونُ هُنَاكَ لُقْطَةً، عَلَى مَا أَعْتَقِدُ، لِلْمَقَابِرِ ١٠ فِي الْخَلْفِيَّةِ فِي مَكَانٍ مَا، ثُمَّ صَوْتُ الْأَبْنَاءِ يَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ مَعًا. لَا يَزَالُ الْحُزْنُ يُحْيِمُ. الذَّاكِرَةُ مَا زَالَتْ حَيَّةً. لَكِنَّهَا عُمِرَتْ، لِقَفَرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، بِالْفَرَجِ. لَقَدْ حَلَّ فَضْلُ الرَّبِّ مَرَّةً أُخْرَى. رُبَّمَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّ فَضْلَ الرَّبِّ لَنْ يَأْتِيَ أَبَدًا، وَأَنَّ شَمْسَ الصَّيْفِ لَنْ تُشْرِقَ مُجَدَّدًا. فَافْرُؤُوا سِفْرَ أَيُّوبَ وَانظُرُوا كَيْفَ انْتَهَتْ حَيَاةُ هَذَا الرَّجُلِ فِي عِنَايَةِ رَأْفَةِ اللَّهِ وَحُبَّتِهِ الْعَظِيمَةِ. يَا لَهَا مِنْ نَهَايَةِ رَائِعَةٍ.

لَكِنْ لَا يَزَالُ أَمَامَنَا الْمَزِيدُ لِتَتَمَعَّنَ فِيهِ. لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَنْتَقِلَ إِلَى الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الْآنَ. عَلَيْنَا الْإِنْتِقَالَ إِلَى رِسَالَةِ يَعْقُوبَ، لِأَنَّ يَعْقُوبَ يَقُولُ لَنَا: "قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرٍ أَيُّوبَ". "نَعَمْ، رُبَّمَا تَقُولُونَ بَعْدَ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الْمُمْتَدَّةِ، إِنَّ أَيُّوبَ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانًا صَبُورًا كِفَايَةً". إِذَنْ، مَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُ يَعْقُوبُ حِينَ قَالَ "قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرٍ أَيُّوبَ"؟ هَذَا مَا سَنَتَمَعَّنُ فِيهِ فِي مُحَاضَرَتِنَا التَّالِيَةِ.